كائناتٌ سِرِّية

مازن المعموري

الكتاب : كائنات سرِّية (شعر)

المؤلف : مازن المعموري

الطبعة الأولى : القاهرة 2014

رقم الإيداع : 2014/ 2106

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 179 - 6

الناشر

شمس للنشر والإعلام

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة

ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(+٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(+٢)

www.shams-group.net

لوحة الغلاف : الفنان مازن المعموري



كائناتٌ سِرِّية

(فصوص)

مازن المعموري

كائناتٌ سرِّية

(فصوص)

القطُّ الذي يصطاد

القطُّ الملقَّعُ بالسواد

تدحرجتْ عيناهُ عند حافةِ العالم

وفوقَ أصقاعِ المراعي والحقول

يزدانُ بالخفاء

متشردًا وحُرًّا

يترك أقدامه تلوِّثني

حين يقفُ على شاهدِ القبر

ليلثمَ قوسَ النهار

ثم يبكي.

• • • •

البقرةُ التي تسلقتْ أعوادَ الشجرة

ونامتْ فوق خصلاتِ الأخضرِ الناعم

لن تراك هذه المرة

فصوت الغروب جعل قرونها تحمل فروة السماء

ليخرَّ نهرُ الفراتِ من ثقبِ الفراديس التي ذابت بين تلافيف أنغامِ الناي

وصورةِ الراعي الذي فقد عصاه

الشجرةُ التي تسلقتْ البقرة

لم تعد تنثر أوراقَها على جسدِ الكون

أصبح الطينُ عجينتي

أي طينٍ يجعلني أطيرُ كحشرةٍ تقفُ بساقِ زرافة وأجنحة تنين ؟...

البقرةُ والشجرة

تقفانِ أمام المشهدِ وهما تلوِّنان الهواء باسمي

أنا بقعةٌ من صباحِ المدينة

ورشفةٌ من عصير الكروم

لا أحفلُ بالغيابِ وهو يلفُّ أرديةَ الظلام

ففي قلبها يفترش الضوءُ أنفاسه.

• • • •

على ظَهرِ تيس

تستلقي القناطير

وترقص الجنِّياتُ على شبقٍ مُرٍّ

في جوفها أرنبٌ بريّ

يُقلّد خوفي

حين يرقطُ الليلَ بنجمة

ويطرِّز القمرَ ببُقعٍ وردية

يستظلُّ تحت أضوائه قلبٌ يحمله سربٌ من النمل

يتجول هائمًا في الفيافي

وغافيًا فوق منديلٍ من العُشب

يبحث عن وجهِهِ الآخر

في شكلِ الإوزات

وخفقاتِ ألوانها

يستعيرُ أصابعَ النخيل

وهي تضمُّ اليسوعِ بين أردافها

لتغفو على راحتيه الشمس.

• • • •

الصَّيادُ الذي اقترب من النهر

ورمى سنارةَ الصيد

السمكةُ ذات العينين البرَّاقتين

اقتربتْ مني كثيرًا...

أصبحنا نتمشى معًا على حافةِ النهر

وتحت شجيرة التين الصغيرة

قبَّلتُها...!

أنا.. ذو العينين البرَّاقتين

حين رمتني السمكةُ في السلة

وحين توقف ذيلي عن الحركة

رأيتُ العالمَ يتدلى.

• • • •

حين يعلّقُ الكبشُ صفيحةَ الشمس

بأطرافِ قرنيه

ثم تنبثق من دولابه العتيق

رغوةٌ من زَبَدِ البحر

يستشيطُ دمي برؤوسِ أفعى

لحظةَ يعشبُ لساني نداوةَ الغمام

يترَّسبُ في قاعِهِ وجهي

وهو يرنو إلى فضةِ العالم

لحظةَ يتكّورُ سنديان فواختك

وهو يقلّبُ أصفادَ النوافذ

سواحلَ من خرير

لحظةَ تعشب أطرافي حراشف من ظلال

وتحت جوانحي خفقٌ من الريح يلمس قاماتِ النخيل

يلوح للسماء.. أن تميلَ على الضفاف

حين تلفظ اسمي..

أنبتُ في شقوقِ الأرض

زهرةً في سمكة

وقوسًا من البحر يحيط أناملي

وهي تحضا بزعنفة البريق

يا كُوَّة الأعماق... وظُلمة أنفاسي

كيف انزلقُ في أحضان مائكِ ؟...

وأنتِ تنشرين أشلائي

فانثالُ مع الضياء

لتأخذني الشِباكُ إلى المرايا

كلما فتح النهر بابه

وانتظرَ الصباحُ مخملَ المساء.

••••

لم تكن عيناي متشابهتين

إحداهما استطالتْ ساقَ قصب

وشفَّ للأخرى جناحا حمامة

كلتاهما لمستا قلبَ الغمامة... فانتشى مهدُ المطر

وفي صدر أوهامي

يقلب شكل الملامح

نثيث الطيور

أسيلُ على برد النوافذ

لتبلّل غبشَ أحلامي بأقراط رذاذها

هكذا تعلنُ الأسماكُ عن نفسها

حين يرتجفُ القمر

أنهمرُ خصلةَ ماء.

• • • •

يستلقي الحجرُ تحت أقفاصِ الظلال

وعند أظلافِ الصخور

تتدفقُ الجنِّياتُ من قلبِ الينابيع

لتلمسَ السماءَ بأقراطِ الضفائر

يتدحرجُ القمرُ بين أناملِ الحوريات

وفوق هاماتِ المنازل

يقف الخفاشُ بجناحين يضمان

جوفَ الجبالِ وعُزلةَ الغاباتِ البعيدة

مُمسكًا بضلال عناقيد

يمتصُّ الرحيق

ويلتفُّ على اشنات روحي المبلَّلة بالظلام

ثم تنزوي في قلف الأشجار

حجر أصابعي.. وهي تمتد مع الأغصان لتشير إلى النبع

لكن رقرقة الماء أغنية الحصى

فيشف من شق أوصالها ورقٌ خضر

ليحتفل المكان بفردوس أوهامي.... ولا مكان

سوى لُغتي وبيت من اليقطين

تسحبه خيولُ أراجيز

• • • •

هل كنتَ قريبًا من الإوزات ؟

وهي تحلّق فوق أجراسِ الغيمة

رأيت المناقير الحمر

تسحب الأماكن إليها

ثم تهبط على سلم النهارات

وأكواخ الصيادين

هل كنتَ قريبًا مني ؟

وأنا أصفّقُ بجناحيِّ نسر

ثم أهوي نحو أعتابِ الموتى التي كسرتها أعوادُ الحرب

أنا من يحلّقُ عاليًا ليضيء الممالح الكابوسية في الجنوب

وكل الأراضي التي أصبحتْ غربالاً للصواعق

هل الأرواح التي تحملينها تكفي الفراديس ؟

أم أنها ستفتح أبواب الجحيم مرةً أخرى

وكل ما يتبقى على شراشف الماضي

سيكون إطلالةً على ما يطفو فوق دجلة والفرات

أشلاءً تلعقها الأسماك

ثم تستشيطُ نحو الشمس لتتبادل الأسماء

ما يموت تحييه اللغة

وما يحيى يتبرعم في أغصانِ النسيان

• • • •

زهرةُ اللوتسِ التي تلدُّ البذرةَ المقنعة للحياة

أوراقُها المبلَّلة بنسماتِ الرحمةِ المتدليةِ على صَخبِ عينيَّ

وهما يمتطيانِ خيولَ البحارِ الهائجة

فوق غيومِ صدركِ الذي احتضن العالم

فاغتسل المطرُ ببياضها

إنها تشيرُ إلى الأفعوانِ الذي يراقبُ الشمس

ثم تمتدُّ أوراقها إلى الأعالي لتحيطَ الضوءَ برُوحِها

وهي تضعُ العينَ الصافية

العينُ التي يفيضُ منها الماءُ والزمرد

تستفيقُ....

فاستظلُّ بسحنتي السمراء

أينَّا يرتكبُ خطأ انوجاده في الظل ؟

وفوق مرآة الفجر تنثرني الحقول

لتغدقَ الطبيعةُ ألوانها فوق الينابيع

في الأرضِ التي تنام بين عيني

وتفتح أبواب الغرائز الوحشية

لعبةُ الحياةِ والموتِ ترَّمِّم كل أعوادِ الغابة ومساطبها في ضوءِ اليراعات البرَّاقة للزمان ....

ثم تمتصُّ أرواحنا في نثيثها القديم.

● ● ● ●

الحمارُ ذاته هناك..

وهو يمتطي جلبابَ القداسةِ في الصحراء..

لكنه الآن يحمل قُبَّةَ الأرضِ التي تداعبُ أثقالها الحممُ والخطايا

وفوق إكليل إذنيه ينام موسى

لا فرق بين حماري وحماره..

فكلانا يبحث عن شيء.. ثم يمضي

أنا والحمارُ ننامُ فوقَ قُبَّةِ الأرض..

ثم نعودُ مع حبَّاتِ الرمل

فنسأل الوقت من الذي مرَّ، نحن أم الزمان ؟

هنا في المكان ذاته يتشكل الحمار وأقراص من الخبز القديم وورقة تشير إلى الوقت

الحمار ينام الآن وبين أذنيه ناقوس النهاية

ولا أدري ما الذي جعل موسى يغيب ويبقى حماره معي ؟.

• • • •

الكلماتُ التي تخلق العالم..

في جنباتها تنفث التنانينُ أوراق جحيمها

لهبًا من أصوات الخوف.. صورةً من أفواه الحكاية وهي تتسلق الفنارات

هل يملك الشرُّ أن يمنحك مهابة التحليق؟

قل لي أيها التنين: ما الذي ينسج السجون في عقلي.. هل الخوف فيك أم فيّ ؟

هل النار التي تنفثها سحابةٌ من رفيفِ عطرك.. أم أنها أغنيةُ في جيبي العتيق ؟

ما عادتْ لي

أضعتُها في جيب يونس

ويونس بلعه الحوت.. في ظلمةِ جوفهِ كان انتظارُ الفجرِ كذبة

لكن الحكاية وحدها خلقته.. إنها كلماتي القديمة.

• • • •

حين تنثر السماء نجومها فوق جنحيك..

وتفترشانِ أعواد الغرانيق خلف أقبية الفراديس..

تسقطُ منك ثلمةُ ضوء..

تنساب عند هفهفةِ روحك معي..

تتسلى عند حافة الكروم

وتهوي في وديان الفراشات القديمة لأنفاس الموت.

• • • •

في الغسق..

تتبرعم فصوصٌ من أصابعي

تنفذ عبر أسمالي التي تعلقتْ بأطرافِ أوراقك..

يحدث أن يتكرَّر صوتي في الجانب الآخر.. كلما هجس ذلك اللون القرمزي في تلابيب وقوفي على البقرة التي حملتْ سماءً من ورق..

وحملتُ أنا فصوص العالم.

• • • •

شرهة تلك المسافات التي تقودني لتلك النقطة.. ذات التشعب المر يجتاح أفق المخيلة..

تيهٌ متناظرٌ خلفَ زجاجِ الكأس يتربع بين شعيرات النمل المتمدن.

••••

غالبًا ما أخرجُ عني...

أنا.. وهو..

نقفُ على أطراف العالم..

نستمعُ إلى قطراتِ السماءِ تدقُّ أوصالَ المدينة

في الشوارِع والخرائب تتراكم أنوفُ الكلابِ والقطط

أتراكم معها في جلابيبِ الأحلامِ الكسولة

سلالمُ الآفاق، أو ما يُسمى عبورٌ نحو ضفة الفراغ

السلالم التي تحيط بالمكانس وهي تنشُّ أعضاءً ثاوية

البقعُ التي تعبِّد درابينَ المُدنِ بدُخانِ النفاياتِ البشرية

سوداء كما هي... تتعفن بين جرابها كتبُ الشعراءِ وأصواتُ النساء وهن يتعلمن أصول الجِدْية على الطريقة القديمة.. بين حانات سرية وتقاطعات الشوارِع المظلمة.

هل يمكن لهذا الاستلاب أن يبطئ قليلاً دون أن يمسني للحظة

يقود أسناني إلى افتراش اللغة دائمًا

يجابهني بأنغام البيانو وهي تسيل فوق أصابعي

••••

أتكلمُ مع اللُغة التي أكلتْ كلَّ شيءٍ ونامتْ

أتحدثُ مع الأشجارِ الزجاجية.. وهي تعكس صورتي.. تقول عني ما ليس لي.

الصورة التي تقف بيننا.. تتحدث عما ليس بي

أنا غيري في الصور والإشارات

الأماكنُ والأقنعةُ والأصواتُ.. هي أيضًا ليست لي

الأشجارُ التي تمدُّ أصابعَ أغصانِها نحوي ستقولُ ما تبقى من ذلك الحجرِ القريبِ من النَبْع

• • • •

يتعرى جسدٌ ما خلفَ مرآتك

يوصد القرابين.. حين يتسلق أبواب الظلمة.. يقترب من هاجس بعيد ليمسك هواء الغرفة

أنا شكله الفظّ وتراب أحلامه

جسدٌ ينام عليَّ فيرتكب الضوء أقنعة لي.. ثم يلبسني.

• • • •

في الغُرفةِ العلويةِ يسكنُ شبحٌ ما.. كنتُ أخاف الصعود
أخاف الهواجس التي تراودني وأنا أنامُ تحت سقفها
مرةً.. تدلى رأسه.. استطال.. تمدَّد في فراشي
لكنني ضحكتُ كثيرًا حين رأيتُه خائفًا مني.. وأنا أنظرُ من أعلى السقف
كلانا يعرف أن الجدار ليس حاجبًا
والأشياء التي غلّفها الغبارُ لم تعد في مكانها.

• • • •

شوهاء تلك العين التي في داخلك أيها الماموث
سوف أكلّم وسائدَ اللُغةِ الرطبة التي تقودك إلى كابوس الواقع..
لكنك مع ذلك تبقى واقفًا عند ناصية الفكرة التي صنعت آثارك المطبوعة في دمي القديم..
ربما كُنْتُكَ ذات يومٍ / وصرتُ أنا كلَّ هذا الأفقِ الأحمر.

• • • •

ذات القلبِ الذي يتهادى في الشوارِع

يستطيع أن يكلِّم الأشياء

وأنت تبحث عن لُغةٍ لا أراها

أنها أمامك

امسك قلبك وتكلم

• • • •

الشكل الذي يتقدُّ في جنباتِ الأرض

في الريشةِ التي علَّقتها الطيور عند أصابعي وهي تحمل طينة الفردوس

ماذا قالت لكِ الأفعى يا أمي

ها أنتِ تقودينني نحوكِ

تهفهف الأشجار عن صوتها المشاكس.. كلما تذكرت أنها ابتكرتْ الصدفة

ونام أبي تحتها.

• • • •

حين أقفُ أمام شجرة..

أرى العيونَ تنبثق من الأغصان بحدة متوارثة من عبوس أسدٍ أو ذئب

العينُ الصفراءُ تتهجَّد في مساحةِ الليل

بُقعُ الجلدِ المرقَّطِ تنمو بسرعة

أتخيلُ بعضَ أوصالِ العظام وهي تطقطق مفروكة في نهاية عضد العود المتدلي

قريبًا من القمرِ تحطُّ عينا البُومِ مفتوحتان على الجهة المقابلة للضوء وتسيران بسيقان طويلة جدًا

هناك... أستطيعُ أن أجازفَ برؤيةِ كائنٍ من نمطٍ خاص.. جسد من خيوط خشبية ورأس أسود برقبة تستطيل، وعلى جانبيها أجنحةٌ صغيرةٌ تحركهن للتوازن.

• • • •

حقلُ الشعيرِ الأصفر

في الحقل الأحمر صباحًا.. تنمو السنابل بلونها الأصفر،

مع ندوبٍ تكبر كل صباح

تتدلى من ثقل ندوبها الحمر

يتبرعم فوق كل نُدبةٍ رأسٌ بقرونٍ وعينان مستطيلتان..

في الزرع كل صباح يغدق الضوء احمرار الفجر وغضب السنابل التي أكلتْ بقرات الفلاحين ووضعت في جوف كل بيت ندبة اسمها: الحرب.

• • • •

النملُ في المسار الصحيح، دائمًا هناك ما يفعله.. يغزو، يقاتل، يتكاثر

النملُ يتجمع فوق بعضه

يولد من أكوامه جسدٌ هلاميٌ يتحول باستمرار... يمتد نحو المدينة

الكثير من الناس فضَّلوا التحول إلى نمل... أكل بعضهم بعضًا، حتى تراكم النمل البشري بحجمه الضخم... وأكل الشمس.

• • • •

في طاس الحمام القديم..كان السائل اللزج يغطّي حوافه

التصق بعضه بأصابعي

سالتْ يدي كما لو أنها انفصلتْ عني / زحفت إلى خارجِ البيت..

نادى الأطفال في الزقاق إنها بقرة..

قال الآباء إنها سماء مرقطة بلون إبليس

لكنها تركت كل شيء..

الغُبار الذي تعالى مع هروبهم أمامي ترك ما تبقى من ملابس ونعل وأحذية ولعب أطفال وطعام متعفن

لا أدري مَنْ كان يهرب

كل الناس الذين هربوا من اليد، وكل ما بقي مني دون أن يتحول إلى شيء، يزحف خلف المكان بصُورٍ تتساقط من السماء.

• • • •

لونه الأزرق البرَّاق يتقاطر فوق أحراشِ الزمرد

يتقافز فوق أغصان الماء

يرتدي بزة عسكرية بشاربٍ أسود

ذيله الطويل يمسُّ الأغصان

يقطعِ هواجسي وسط برودةِ الأشلاء التي تشظتْ من أنفاسه وهو يحلّق

فوق رؤوس المُدن وبراري الأرض الحرام

رغم ذلك ما زلتُ أنتظرُ زوال المشهد المملّ.

• • • •

تضرب يداه البَرْق

وتطبق أصواتُ جوعِه آفاقَ السماء

الطينُ الذي تفصَّص بين أذنيه.. أزهر أذرعًا من نار

يرى كل شيء دون أن يملك عيناً

لكنه يستجيب إلى همهمات كلمات البحار والأنهار..

يمطر على الأرض اليابسة..

يتكلم معي بلوامسه الطويلة كلما وقفت على الخراب

يتوقف عند ضفاف أوهامي ويقول لي :

دع سواحلي في اليَّم.

• • • •

أراك أيها السادن في محراب القلاع النائمة فوق قمم السحاب

تطلُّ عليَّ

تفتح بصيصَ النور.. فيشفُّ وجهك في نسمات قلبك

أسوار المدينة المعلقة بشفاه صخبك؛ تجعلني أتنشق عطرَ الدخان

وصور غاباتك.. وهي تنام على أصص أنفك

لكن أبي وأمي القدماء عرفا أن وجودك في الغابات سيرشق الحياة بدمٍّ

أزرق

كن في الحافلة القادمة.. فأنا ما زلتُ أنتظر النهاية.

• • • •

وقفتُ على الرماد..

بزغ من تحت قدميَّ ريشٌ، ومن خلفي أورقَ التراب

سمعتُ خرير صوتك يداعب فمَّ الوردة التي تسلقتْ ساقيَّ.. ثم لوحت جسدي ببثور البراري

شعرتُ بأنفاس الرياح تفتح أضلاعي وتحطُّ بينهن أقفاصًا لعصافير الحدائق الشفقية..

جسدي تفتحتْ أبوابه..

وها أنذا أمنحُ اليْراعات ضوءها.. والعشبَ اخضراره..

لكنني ما زلتُ أذكر سحنةَ الرماد على الفردوس حين طردني.

• • • •

رأيتُ أشياءً خلفي وأنا أنظرُ متعجبًا من الفجوة الكبيرة التي حفرتها طلقة في بطني

تساءلتُ عن العمود الفقري وعن الأحشاء.. عن اليدِّ الممتدةِ فوق فراغ الغيمة.

• • • •

أستعيرُ من الشجرةِ صمتها...

ومن الطيورِ فَمًّا مستدقًا.. أداعبُ به نسمات الفصول

أستعيرُ من السماءِ رداءها

ومن الأرضِ بساط الماء

إلى ما يحمل عن راحتي حراشف الأسماك وألوان الطواويس.

إلى ما يحمل عن صوتي صفة الحروب

وينبت بين عينيّ ريشة الطائر

سألحقه بعرش سليمان وهو يغطُّ في نومٍ عميق

سريعًا كلمح ارتماشتك فوق خرير النبع وزلّة قدم فوق منحدر الموت

أيها الموت.... أستعيرك، فأت.....ك.....ل.... م

• • • •

أحلم كثيرًا وأنا أرى نفسي أركض

أتنفسُ بقوة..

هناك شيء خلف الجبال والوديان

أرى عنقه وهو يتعالى فوق التضاريس البعيدة

الأشجارُ تتقاذفها حركته السريعة

خيوط سود تتطاير من شاربيه التي تحيط بعينه الوحيدة

ومن قمم الجبال وربوات التلال تتجول يداه فوق أقراط الغابات..

أشعر بحفيف أنفاسه الحارقة وهي تكوي الحقول التي خلفي.. تلمس أطراف أسمالي التي وخزتها مخالب الصور والأشباح

صرختُ به.. صرختُ.. صرختُ.. حتى التصق بي..

أنا الآخر الذي رأى كل شيء... ثم غاب.

• • • •

أوراقُ الوردة التي اتسعتْ وغطَّتْ أثري

أثري في اللونِ والشارِعِ والجدران.. وكل ما بقي من مسامير الوجه القاني... أتمشى معه؛ أو هكذا أتصور البقاء في منفى جسدي القريب من الحقل

نتجول معًا في المدينة..

علَّمني كيف أرى الاثنين معًا

لكنه أكل بعضي حين جاع

وأكلتُ أنا أوراقَ الوردة التي تظلله كل صباح..

التصقتُ بالشجرة المرة.. يحملُ ما يشاءُ خلفي

وأنا أحاولُ الإمساكَ بي كلما نهضتُ من الخراب.

• • • •

حطَّ الطائر على السطح

نبح الطائر.. فتوقفتُ !!

ها أنذا أسمع ما يشاء / أكرِّر نباح الطائر الذي يسكنني

فلا أراه..

• • • •

رأيتُ الحشرةَ النائمةَ فوق السرير

جلدي الصلدُ تبقَّع ببثورٍ من تراب الجدران

كافكا يقفُ في زاوية الغرفة

يراني ببرودٍ غريبٍ وأنا أستطيل مثل جذور الصبار، استنشق غبار الكآبة

ترى.... ؟ ماذا تفعل تلك العينانِ في جدارِ الغرفةِ وأنا معلقٌ مع الشراشف على حبل الغسيل ؟

••••

فتحتُ تابوتَ أمي..

رأيتُ الفراشات تتطاير فوق ملاءاتِ بيضٍ وأوراقٍ خُضر

تتلمس فجاج الرحمة على صدرها

شعرتُ بالبللِ حين أمسكتُ أطرافه.. كان الماءُ يتدفق من عينيها وهي تشير إلى حقل النمل الرابض فوق الدكة.

بعض البراعمِ المسْوَدّة بزغتْ من ثنياتِ الأخشابِ النديّة

التَفَّتْ حولي.. ثقبتْ جسدي.. فانهمر المطر.

••••

لـم يكـن ممكنًـا الخـروجِ إلـى ضـفةِ الشـارِعِ وأنـا حـاملٌ كـل هـذه الأقنعـة بكيس من الجنفاص فوق كتفي، يخرّ فوانيس وحروفًا صامتة

بعضُ الأنوفِ تتقاطع، وربما كانت تريد أن تنفث أنفاسها على المارَّة..

على الشحوب المتدلي من الحياة أو الوهم القاطن في الأرصفة.. على واجهـات المحـال وهـي تعلّـق لافتـات المـوتِ أو الاسـتهلاك المـزين بالخراء والبول.

هل البقاء في المنزل حكمة الجبناء أم العقلاء..؟، فكل من الطرفين يفكران بهدوء

وفي نهاية المطافِ نلبس دائمًا وجوهًا حيوانية مختلفة،

أحيانًا أتلبسني.. فأتقافز كالقرد ويصفق لي أطفال الدربونة.. وحلزونات البربر والمعدان

ثـم ارجـع إلـيَّ مـرةً أخـرى حـاملاً نفسـي وهـي تسـيل خـلال فتحـات الجنفـاص.. فـي زاويـة القبـو المظلـم.. أسـفل كـل شـيء، كنـتُ أرى العصافير تتطاير فوق جلود السعدانات المتراكمة.

• • • •

على ضفة نهر الحلة، قُرْبَ الجسرِ الحديدي.. قنفات عزاوي القديمة تملأُ المكان، كما لو أنها خرجتْ من حربٍ قريبة، أغلبها مائل وبعضها أعرج

جلستُ أترَّنحُ من شدةِ الوضوح الذي اكتنفني تحت أقنعةِ شفَّافة..

فتحتُ الكيس الطيني (نعم.. كل كيسٍ له اسم، ولا أدري ما الذي يجعل كائناتِ الماء شفافة إلى هذا الحد..)

وجهُ السمكةِ يطابقني تمامًا، لكنه عتيقٌ مثل الطين..

غير أن صديقي حسن الغبيني غالبًا ما يراوغني ويسرق حيواناتي الأليفة.. يقول إنه يريدها لأعماله المسرحية.. لكنني اكتشفتُ فيما بعد أنه يدسُّها في فصولِ روايته القادمة.

لم تعد بقايا الميدان التي كتبها تشجعني على البقاء حيًّا..

ففي كل صفحةٍ مطرقةٌ تهشِّم مرآتي..

وهو يضحك مع ظلّه، فيمدَّانِ جلدهما إلى ناصية النهر..

كنتُ أرى الأصابع التي تعلقت فوق أطرافِ القصب، كان حسن يسرق العصافير وكاظم خنجر يدسها في جيب حقيبته، ولا أحسب أنَّ أحدًا رأى البحر يتقاطر منها سواي.

حقيبة كاظم العتيقة لها عينا بقرة وذيلٌ أسود خشن، تستطيع أن تأكل حروف الكتب بلا استئذان، وسرعان ما تخور وتقيء زحافات دريدا وصور المسرح وعواء المدينة الراكدة، أتصور أن بقاءه على حافة النهر ذات يومٍ صيفيٍّ حارٍ شقَّق أصابع قدمه، فامتدت شرايينه داخل التراب الرطب.

وفي مساءِ ذلك اليوم وجدتُ حسن الغبيني يتمتم وهو يقلّم أوراقَ الكلام من شجرته المتيبسة ويعلّق الحقيبة القديمة المليئة بالكتب على كتف الغصن.. ثم يقول : اهجعي بسلامٍ أيتها البقرة.

• • • •

قلبُ المحارةِ يلتصق بالطين الحري، ثم يلمس وجه الماء.. تعبث به سيقان الأطفال التي لوَّنتْ الماءَ برشفاتِ النار، ترى ما الذي يلمسه فلا يصبح قناعًا يتطاير فوق النهر ؟..

• • • •

حدَّثتني فتاةُ الحانةِ عن المُدنِ التي مرَّت أمامها

رأتْ رجلاً كالجبلِ وهو يصارعِ الوحوش

رأتْ الأقلامَ التي كتبتْ أسماءَ الطينِ على وجوهِ الجدرانِ الهرمة..

الغزلانُ لبستْ رؤوسَ النسورِ ثم أحرقتْ مدينتي وهي تنامُ على ضفافِ الفراتِ / لكن السماء وحدها مَنْ نَثرِ الضوء من ثقوبها، وتيبستْ يدي عند حافةِ الظُلمة وهي تأكلُ الخُضرةِ من فمِّ الحقول.

• • • •

في المسيرِ المزدحم لموفق محمد.. وهو يخطُّ حيوانات السواقي على ركبتيه..

من أناملهِ يسيلُ ماءَ الرحمةِ فوق رؤوسنا

ويجتاحُ مويجاتِ النهرِ النائمِ على كتفيه

السمكةُ المقدسةُ بين يديه تتلألأ بعينين تبرقان بالبهجة

معًا في علبة الملكوت يتفجر الطوفان تحت كرسي الماء

ممتدًا إلى خرق الدرابين وسحنةٍ سمراء تقطنُ في جوفِ النهر

يتسلقُ الجدرانَ.. معلقًا فوق تيغ السطوحِ قرون الثور

يا.. لاعنَ أبوابِ الجحيمِ في السراديب وباب الحسين

يا مُنعشِ الخمر في قلقِ المساءِ وعينِ النجمة

خُذْ ما تبرعمَ من أغصانِ المدينةِ الأم

خُذْ نومها البريّ

خذ وجهها الكالح... واعطني هلالي.

● ● ● ●

ذلك الخوفُ نفسه يتعرَّى

يهب ملاءاته السود للمراثي

ينزع عن عُريِّه عُريّ

يقف وسط المدينة

يظلل بيوتها

يحجب الشمس عن أطفالٍ يلعبون بصُور آبائهم

يخرجون بلا عيون

يقفون على أربع قوائم.. في نهاية كل منها ثقوبٌ تسحُّ مطرًا يمسح كرة الضوء

ما عادت ترسم صوراً.. لكنها تزَّرقُ عندما تبرقُ الغيوم..

ثم ينبجس الماءُ من تحتها.

نوافذ تتساقط على سلم الوردة

في فمِّك تتساقط النوافذ / تفرُّ من حَدَقاتِ اللهب
وفي فمي أرجوزةٌ تسيل على البحر... فيزرق

• • • •

يحتفي الخبزُ بضراوةِ النسورِ وهي تخفقُ عاليًا
كلما حلمتُ بحمله فوق رأسي
الخبزُ والطيرُ وعينٌ ثالثةٌ في العمق
قريبًا من الشمس
لا أراكَ تعرفني وأنت ظلي
نوافذٌ تتساقط على سُلّمِ الوردة
أقبِّل فيكَ رائحةَ الظلام
فلا مرَّتْ عليك كواكب وأسماء..
ها أنت تحملُ فوق رأسك خبزًا
وأنا أراك معلقًا في الغيمة
قل لي أي النجوم تليق بأقراطك ؟
وأنتَ تمسح الحقولَ بضفائر الوفرة
ثم تنثرها.. فتصفر

• • • •

حجرٌ وصخورٌ تتقافزُ من عينِ السمكةِ البريئة

سوى أنها لم تعد تسبح... إلا في قن الطبيعة

تلبسُ الملاءاتِ الملونة لانزلاق السماء على الأرض

تعطِّل النحلةَ عن الرحيق

فمَنْ مِنَّا ينجز وقوف الصقر على طرفِ الشمس ؟

لولا وجودك في قلب الفكرة، كما لو أنك ماثلٌ في لفظ الخليقة أو تدحرج كرة طفل من الجسر

أيهما يستطيل.. يدُّ الطفلِ، أم انحناء المشهد كله نحو الماء حين يثقبه بإصبعه.... فيبيض !

• • • •

لا تغدو الحمائم فوق الماء غير لطخة لونٍ عابرة

وهي تطلق أصواتًا تسيل على الأسماك

ثم تنثر رذاذها على سلم الوردة الممتد إلى حجر الضفة الأخرى ليلمس أصابعي

أنا بجعةُ الغروبِ التي حطَّتْ على ترائب الموجة الناعمة وسهول ملاءاتها القريبة من فمِّي

• • • •

الضياعُ الذي يلفُّ أشلاءَ أصدقائي بعد كل حرب

نسج شراشف العزلة..

هنا يتبرعم رأسك أنت..

يمتـدُّ نحـوي؛ أو هكـذا أتصـور المـوت كلمـا أغلـق عينيـه علـى أثـر السـرفات القديمـة والبنـادق وصـرخات الضـحايا ورغبـة رجـال الـدين بصعود سيارات (الهمر) ثم مرور باصات الرعاع والأغنام والجرذان تحـت نصـب الحريـة / دون أن نـرى سـلم السـماء وهـو يتهـدم فـوق عباءات سُودٍ وعمامة

• • • •

ما الذي يجعلك مبتسمًا هكذا ؟

المدينةُ احتلها المعدانُ ووقف على صباحها النعيق

• • • •

على سريرِ الغُرفةِ وخلفَ فمِّ النافذةِ المُطلّة على الفراغ

ثمة صوت يندلق على أوراقك

يدوس تراتيل اللغة المهاجرة إلى البقاع من كلِّ حَدْب

ها أنت الآن تسفر عن لغطٍ طويلٍ لم يعد صادقًا أبدًا
هو كلٌّ ما قيل عن الوجوه المشوهة والأنامل الرفيعة فوق الكؤوس
ها أنت تغير عينك على النافذة المطلة لقراءة الكذبة الطويلة للحياة
عن القول فقط..
وربما الأكاذيب السحرية لقصص أمي أو حكايات الأبطال الخلّب

ترى ما الذي يجعلك تبتسم هكذا ؟
سلم الوردة يتهاوى في عينِ النافذةِ المُطلّة على الفراغ
ولا أدري من يستطيع النزول من السماء ليقول لنا الحقيقة ؟

••••

في الجانب الآخر مني
أشعر بركاكة الحواف النازلة من الرصيف... كلما حاولتُ العبور إلى
الضفة الأخرى
أتلمسُ النظرةَ في جانبي الآخر / أمامي.. دون أن أغير سحنة ألمي
لكنه مثواي
وهو يقطن في المسافة ذاتها..

هناك رصيف وقواطع تستلُّ ألفاظًا لتمرق كالمساء

اللغة هناك... وأنا هنا.. وما بيننا ركاكة الحواف النازلة من الرصيف إلى الأبد

• • • •

النافذة التي تتساقط

رغم ابتلاعها لشكل الضوء

رغم الإنارة الحيَّة على الجهاتِ البعيدة

ما زلتُ أعرفُ أنَّ المدينةَ طائرةٌ ورقيةٌ في جيب الحارس الليلي

• • • •

هل يتوجب عليَّ أنا الشاعرُ أن أثرثر كلما رأيتُ النوافذ تتهاوى ؟

أن أرى الوديانَ تتسع لحجمِ الحزن

أن أقولَ ما لا يُدرَك

أن أوسوسَ كالشياطين

قولي أيتها النوافذ من منكن تستطيع رفع السماء بإبرة صوفي متوحش؟

أو ترقط الجمرةَ بالبرد

متى أجيب عن اسمي ؟ وأنا أتلفع بالضياع في غبشِ المدينة

• • • •

يندلقُ الصباحُ فوق مناقيرك الحُمر

الصورُ القريبةُ مني

وهي تحملُ هالاتٍ من الغبطة

أتوجسُ أغصانَ تجاعيدها وهي تغفو مع الغبار

ثم تهمي........

مطرًا في غرفة

وصوتًا تستظل به الفيافي

يطرق ذاكرةً تسحُّ من لحاءِ أشجاري

ترطِّبُ المكانَ بشراشفِ الأسماءِ البعيدة

ناعمًا كانفراطِ الوفر على صدرك

لا صوتَ لي قُربَ خريرِ الغاباتِ وأشلاءِ البساتين

كما لا ترتوي أشنات السُحبُ المدوِّية في رأسي

إلا.........

حين يندلق الصباحُ فوق مناقيركِ الحُمر

تنقرين راحتي كما تطرقُ الملائكةُ أبوابَ السماء

فيفتحُ البحرُ مملكةً للنهار

الأفاعي ذاتهن وخزنَّ عصاكَ يا موسى والتففنَّ على غُصْنِ الشجرةِ القديمة

ما كلُّ هذا السُواد الذي خرم الماء ؟

سوى حفيف مسيرك عند ناصية القداسة

كلْ من زهري فواخت غانيات

على شاطئ الفُراتِ غيومٌ تهوي وتمد لسانها إلى ساحة باب الحسين

تلوِّن الحواجز التي فقأتْ عينَ المدينة

كما أنها لم تعد سوى سجونٍ رمزية لتطويق الفكرة بالنباح

وثلـم قُرصِ الشـمسِ عنـدما يتـأبط النهـارُ مملكـةَ النـائمين علـى مُـروجِ المقابرِ وسقَّالاتِ الجُثث

كثيرًا ما أتساءل عن النجمةِ التي تخرّ

عن الشيطانِ الذي يضحك حين يهبط بمظلة أوهامنا الأبدية

عن الصيفِ الذي لقَّح رؤوسَ السفلةِ بالأضاحي

عـن بِركـةٍ مـن النـارِ لا تعـرف غيـر الغثيـان فـوق أشـلاء التـاريخ وبـلادة الحمير

ثم تندلقين فوق مناقيركِ الحُمْر

لم أعرف أن الببغاء قد ترك مكانه فسقط الضوءُ في ظلِّ غيمة...

أهدابُ الجسرِ العتيقِ تنامُ على طرفيِّ خرائبِ الحرب

تتفرع من قضبانها الأغصان..

تتخلل الشوارِع

فينصاعُ من قلبِ الأزِّقةِ صوتُ المآتمِ حين يسيل تحت إبط الليل...

يا ليل... هل لي بلمس نجومك؟ وأنت تقبع في عين الباز

الرؤيةُ نجمتي التي فقدتها

أفقٌ من الريشِ يتلصص في العُشْب

ينزلُ مع الندى المتدلي في الفرقد

الشاهق مع المرآة

في صلتي بكَ وأنتَ تخرج من الفراديس القصيِّة

في خواصرِ الأصص حين تنمو تحت آباط الصخور

في لُججِ البحرِ الذي شقَّته عصا موسى

وقفتُ أنتظرُ الصباح !!.

قفصُ الغيمة

في القفصِ الذي تشَّعب من أطرافك وأنت معلقٌ في العُشب
خيوطُ الحشائش وهي تتسلى مع الهواء حين يضربها المطر
ذات الهاجس ينتابني وأنا أنظرُ في عينيك
وهما يقلدان الطبيعة رداءها
يمنحان الضوءَ بريقَ الماءِ وهو يمرُّ تحت الجسر
كم أشتهي الإمساكَ ببريقِ موجةٍ تغسلُ الحوافَ بأردانها

في ذات القفص الذي تشعب منه وجهك حين أوقفك الملاك
وقال : تعال معي...
هناك واحةٌ للضوء...

• • • •

سِرْ بي.. أنتَ الآن مُتعتي التي تتفاقمُ مع نزولِ المساء إلى الشارِع
والخُضرةِ إلى الحقلِ
والعسلِ إلى الحُبّ
سِرْ بي.. إلى فناء الحوريات الذهبيات وهنَّ يتقاطرنَّ كأصواتِ البلابل
فوقَ مصابيح المُدن وحاناتها الخائفة

مَنْ مِنَّا يقودني نحو لألأة النجوم ثم ينثرها تحت أعبائي ؟
وها هي تسّاقط فوقي عندما رأتني أحملُ جثتي إلى السماء
أحملُ الخيوطَ التي تكّسرتْ على ألوانٍ تتراقص قُرْب ضفافِ النهر
وهو يشقُّ مدينةً تلبس الفوضى وتنعمُ بالغيابِ إلى آخرِ طراطيش الماء
في وجوهِ البيوت
حين ألبسُ المدن؛ أكتشفُ أنني عارٍ عن الصحة
وفي عنقي تتدلى آلاف القلائد التي تتشبث بالتاريخ
ثم تنزعني عن الغيمة
سِرْ بي.. وها هو الماء أسيانٌ يطوفُ على الدرابين
يغلق الأبواب عن مداراتها
يستطيع أن يتدحرج كما يشاء

• • • •

الحورياتُ اللائي لم يذقنَّ طعمي مجرد أبراج في حكاية قابلة للنسيان
وفي فمي حقيقة
غير أنني حُرٌّ...

• • • •

الجسرُ القديم

يمتدُّ حينما أمرُّ عليه

هو الوحيدُ الذي يستطيع أن يكلّمني عن المدينة وفراغاتها

تلك التي نسَّميها بيوتًا أو محلاتٍ أو شُققًا آيلة للبكاء على الماضي

كل ما يسكنه قديم، ويداه تتشبثان بأقراطِ الطين ونتوءات الإسمنت

يبحث عني حين لا أراه يمشي فوق الناس... الناس الظلال

يكلّمني عن الشعراء المجانين.. وهم يحلمون..

تتراشق النوارس صيحات الصباح

الصباحُ كوةٌ في بطنِ الليل تغلقها الباراتُ وأفواهُ القصائد

تمسكُ ما يتدلى من الظلمة

وتنامُ على أطرافِ الجسر

قد لا يزعجه أن يتبولَ الخمارة فوق فمه.. ولكنه يشعر بالصدأ حين يصرخ ذوي اللحى

في أول الفجر تئنُّ أصابعه حين يراني أتمشى مع جبرائيل فوق المارَّة.

• • • •

وأنـا أدورُ مـع الشـوارِع.. عِظـامُ الجسـرِ تسـترخي علـى فحـمِ البنـادق
وأسلاك العمائم المتوارية خلف القبور.. أظلاف المرايا الحمر
كائنات القصص والسجائر البِكْر
تدور هي الأخرى فوق رؤوس المارَّة حاملين الفوانيس
إنهـم يضـيئون الألـم وهـو يتسـرب مـن جسـدي.. عبـر ألـواح التـابوت
وسطح السيارة ودربكة الهياكل التي تقترب مني.. ومن الأماكن التي
تغيرت أيضًا
خلف شقوقِ الغيمة.

• • • •

الطريقُ يتجول فوق انسرابكَ وأنت تعد نورسة أو اثنتين
ثم تنقط الشرفة بأنياب الثعلب كلما هفَّ جناحيك على شراشف المطر
أنا الوحيدُ الذي يراكَ على الجسرِ ساهمًا عن فواتِ الوقت
لاهٍ عن تصفيق النوارس
وربما ارتباك النخيل من الصواعق أو القذائف المارة
هي الأخرى تعد الرؤوس لعبور ذات الجسر

الذي انحنى كثيرًا أمام دربكات التاريخ وابتسامة الهمج الرعاع
سأقول لك إنك ما زلتَ وسط المدينة
تشاركني المسير.. على أصابعك أستلقي.. وفوق ظلالك انهمر

• • • •

يداك تعشبان.. ومن خلال فتحاتِ جلدك يتقاطر الضوء
لكن الجسر القديم لا يأبه لابتسامتك وأنت تحلّق فوق أعشاش الظلمة
فكل ما تراه بقعٌ من عسلِ السماء.

• • • •

اتركيني.. أيتها الجنيَّاتُ الزهريات
في الجب.. لا أتقي فيكِ اخضرار البوادي أو تعاساتها
أمارس طقس التحولات المُرّ
مع الأغاني التي تكرِّر شكلَ الضفادع بأبواقها
حتى العُزلة... لم تعدْ حلاً لأمراض المُدنِ وعفوناتها

فما زال الجسرُ القديمُ يتمسَّكُ بالضفافِ بيدينِ خائرتين وساقٍ عاطلة
غير أن البياض يمسح أعتابه بعُشبة الصباح ويغلقها بدبوس أوجاعك
وهي تهطلُ كالمطر.

• • • •

لا قِبلَ لي على التوقُف الآن... فالصعودُ نُزهةُ الموتى
وها أنذا أقودُ أذيالَ الرياحِ إلى العُلا
أستطيع أن أقلّد الملائكة على صفوف أنهارِ العسل والخمر
أستطيع أن أرى الله بملابس مدنية..
تستفيق بين جنباته أيائل اللذة
فأخشى.....
رغم أنَّ ساقه تتدلى على طرف الجسر
وتسكن أنامله كهوف الجبال
وينبتُ في منخريه حقلٌ من الزيتون والعشب
ما زلتُ أرى الموتَ يستلقي فوق رؤوسِ المارَّة.

أديمُ الضوءِ يستعيرُ بياضك

(إلى تلك التي جعلتني أُحلِّقَ فوقَ عتباتِ السماء)

لم تكن قدماي مغمضتينِ عن الطريق / فهما تعلمان بما يفضي
غير أنَّ عيني لم تسمعا قلقَ النجوم وهي تهوي
هناك تبادلتْ الأصابع حوارها وتكلمتْ عني
ربما لا أستطيعُ أن أبحرَ دائمًا في صفاء بياضك المدوي
لكنني أعاند نفسي في اللجوء إلى متاهاتك البعيدة
أقبِّل آثارك التي تركتها في مخيلتي
عسى أن أحظى برفيف شفاهك الناعسة
هل تعلمين أنكِ في أطرافِ ذاكرتي.. تنامين في سفينةٍ مظللةٍ بأشجار الغارِ والزيتون
وفي ظلالِ رموشكِ ينامُ اللهُ كلَّ يومٍ لأحيا بينهما.

• • • •

الغايةُ المطلقةُ لترانيم موسيقاك
أو هضاب مراياك.. وهي تنثر العصافير
تقلّم أحلامَ أغصاني

لا أريد منكِ ما يشتهي المستحيل من نفسه

بل أنني أشعر بذات الفرحِ وأنتِ تغلقين الأبد فوق ناصية عطرك

أنا.. أم.. أنا.. فيك مني ما في مرايا الطبيعة

أعشابُ صوتك وهي تنمو فوق أديم الضوء تنثر ربيعها على فوران جنوني

حين أحتضنكِ يتسربُ القمرُ بين ذراعي.

• • • •

كيف لي أن أستعيرَ بياضَ الضوءِ من فرط إحساسي بتطريز النجوم لأمواجِ شَعركِ

وهي تغسل الحقولَ برضاب الفصول التي حملتها أناملك فيّ

وفي وخزاتِ صدركِ الوسنانِ في قاربٍ دُريّ

يتهادى فوق جسدي... فترتعش البحارُ وتذوبُ زُرقةُ السماءِ عند أقراطك

دعي كل هذا الذي تفعلينه لأجلِ شيءٍ ما

فلا شيء غيري... يراكِ.

• • • •

قل لي أيها الضوء

لعبة التخفي التي تضعك أمام الظلمة

تريد نسيان الانزلاق المُرَّ.. بين نهدينِ يسيلان من قمة الشمس إلى حضن الغيمة السوداء.. ثم تعاود القفز في سلةِ مراياك وهي تقطن على حافةِ الضوءِ والعتمة.

• • • •

عيناكِ في شَفقِ الفراشات..

يتقاطرُ من نوافذها الضوء فتخضرّ الطبيعةُ حين تلمس أطراف رمشك معشبتان هما.. ينام فوق جنبيهما العطر.. وينهمر النهار.....

• • • •

دموعك التي تتساقط فوق أنفاسي

تفتح للبحر نوافذَ من سماء

دون أن ترى أن هناك روحًا في الجانب الآخر من العالم.. تتكسر تحت أضلاعِ القمر

حين تسيل على الحدائق وينبض بين حدقاتها النبع

وينبجس في خطواتها خفقُ ارتعاشٍ قديم

أنامُ على ضفافِ أغصانكِ المبللة بالعُزلة

• • • •

أستعيرُ من سعفاتِ أناملكِ أرديةَ الماء

شذرات أنفاسها

أذناي تشمَّان قلقَ روحك فأراك بأصابعي وهي تمسح وجهَ الكون له

تغدقان عليَّ شراشف لمسك بعيني

تبتعدان كلما أبصرتْ قدماي شكلَ المسافة

لكنها تظللني بأوراق الينابيع

• • • •

عينٌ واحدةٌ في قلبك

هي كل ما يراه ذلك الجنون المقدس

يحمل عطرَ الغاباتِ القصيّة في ثنايا دمي

وعطرك يراه العابرون

غير أن العينَ ذاتها في قلبِ الشمس

ترى ما لا أراه

إنها اللغة التي تسيل... لا دمعك الذي يغني

فراغاتُ المعنى

مثلما أقترنُ بكِ زاحفًا

ويقترن بي سواكِ

فألوذُ بأصدافِ بحر

ورنين صامت

اقترن بالسواد

وأبيح للنحل حدائق تشبه الصحاري

أجمعُ رذاذَ موجه

لأمسحَ وجهي المتآكلَ بالأحمر القاني

أنتشرُ كأفق

فتشبهني كطائر....

أتعلقُ بأجنحةٍ كزار حنتوش وجنون خمرته الخائرة

وضياع عقيل علي في سراديب بغداد التي يسَّمونها فنادقَ رخيصة

بعفونةِ جرذان وملكات

أُمزِّق التشابهَ وأحتفلُ بالاختلاف

أضيءُ الكلامَ

وأداعبُ النجومَ بضربةِ شمس

فلا أقعُ فوق أوراقِ (بيكيت)

وانتظار مومس

أصطادُ غيمة

وأكبِّلُ الهواءَ أمامك قبل انبلاج الوقت

تزدحمُ الإشارةَ فأسميك

أي اسم تريد؟

وأي أسلحة أرتل للقيام بلعبة؟

من منا يلقب الفضاء؟

لينحني القمر

وسوف أكرِّس السماءَ لألواني

تسيل كما أقلّدها

وتشبه ما أراه

إليك أمدُّ الهجوع

وأردد السواحل بامرأة

يجيء معي فلا يقيك

تراب نارك أو رحيل المواء

يا نقيق السواقي

وأشرعة البحار

كوني مهادَ الجِبال

وأودية القطا بين أنفاس

للغائب تذوب المسافة

وتقلب الذاكرة مداها

فأعلو....

أيها القديس والباكي

لفمِّكَ العالم والفضاء بركة قولك

تشظّى برشفة كأس

أنتعل سواد الهائم الجاثي

لأبواب السماء

أروح وأندى بجفنين مائلين

وأسنان يعتقها الكروم

فلا أحلم بالتهامك

ولا أوقّع شفتيك بلون الرجاء

صباحًا.... أشيرُ إليك

وأقترب من السماء على أطراف موتي

بين غريبٍ يتحول إلى دمعة

وطريقٍ يتلظّى

أنا الملوَّثُ بأخطاءٍ ساحرة

وثقوبٍ دامية

يتوهجُ بين شراعين

تحت أضواء أسكرها الغياب

من منا يزول إلى الأبد؟

فيقتربُ الغروب

إليّ هذا المدّ

وإليك المدى

أقدِّس شهوةَ النار

وهي تتلذَّذُ باحتراقِ الربيع

وفجوةِ الأسى

وصريرِ انغلاقِ الفراديس

ليتك لم تشكّل المعرفةَ بتفاحة

وتعلّق السلامَ بأشجارِ الزيتون

وخلف طائرك المقدس

ما زال هناك طوفان

يطيح باليباسِ وينحني له البقاء

من يستعيرُ فمي؟

لأجهر بانتمائك للطيور

ورغبتك للحلول بحُرِّيةٍ ما

وصعود يبدأ برقصة

وبطقس يمزِّق غيمة

فتنث وجهي

فوقَ....

أكوامِ...

الفراغات.

لُغةُ ريشك المعلَّقُ كأسطورة

كيف لي أن أصطادَ بُقَعَ الماء؟

وأجمعُ مومسات الوقت على حافةِ يدي

بين قارةٍ ساهمةٍ وقطع أرضية مهملة

أيُّ رداءِ ألبس السماء أو أستبدل زُرقةَ البحر

بحُمرةِ وردة

هواء يثمل وبوصلة تصيب أصابعي بالامتداد

حلقاتُ ضوئكِ ناعمة

وأساور حُزني بلا قيد

هكذا يتفصَّد الحجر

ويأكلُ مخملَ الرمال

نِمْ أيها الصوت... فالماء أيقظني

أو تعلم أن يقظتي لم تعد ساحرة؟

بما يكفي لنهوضي

كما يعتقد الببغاء بألوان ريشه

ويعتقد القمر بحفنة نجوم ذابلة

أمرِّر أصفادي أمام خشخشةِ مفاتيح

وأصوات أرجل يبلِّلها العراء

سلي بريق الماء

كيف يمتثل الصباح لي

ويفتح فمَّ الغيمة

بكعبِ أرنبةٍ هاربة

نقشِّر المدينةَ سوية

خيوط وأرداف

أرصفة وموائد كلمات وأشياء تامة لمحوها

لمحوي... وأنا أصوغ بلاغة الهدهد

ونساء ليلة أو وشوشة عصافير

تحت الشارعِ أمكنة

وتحته فقط

أجيد الرؤيا تمامًا

كما لو أن المشهدَ يتكرر مرارًا

كارتعاشةِ غُصن

وارتجاف زنبقة فوق سطح بركة

إيماءة في خاصرة

وتلويحة في مساءٍ أبيض

تقلب الأرض أوجاعها

فينتشر السواد

أشكُّ بوجودي

لأفتحَ لليقينِ شجرة

الشجرة تخزُّ السواد كلما أراد للبياض أن يتزيا بثوبي

المنقط بالنجوم

ليس لفراشاتك المضيئة

غير فضاءٍ مُوحلٍ بأبناءِ السماء

ليس للُغتي غير امتدادها

وأنا ألثِّم ألوان ريشي المعلَّق

أسطر رثاءَ سعادتي بالحروف

وأقلِّد السحرة بالأناجيل

لُغتي تفكّر كذلك

فأيّنا سيقرأ الآخر

وهذا البياض تحطمه الغلالة الصفراء

وتأوي إليكما طحلبة في عقيق

أيزهر هواؤك أرغفة

أو يأكل وعث الأرض أثري

كما لو أن أحدًا ما دخل وجهي

بسبابة يدي

وفرش نواجذي بالذهول

يستعير صلتي بظواهري

وأقود دخوله...

كما لو كان ملتصقًا بجدار

لتسقط خوذتك

وهي تسرق الزمان

وتعيدني...

أيها التشابه والانقطاع

اللحظة ودونها

البريق واسوداده

كومة العدم تجهلني

فيثير ريشك المعلق

لفظ انوِجادي فيك

يسطر يبابه بالقناديل

لتهوي الضياء كارتطام صخرة

وأهوي كانسيال فكرة

أيهما يقود تلابيب الكلام ؟

ويفرط الخبز لمرعى الطير

يختصر المدى

ويعبئ الحروب بأحلام وردية

ألهذا سأنهض أم لغيره ؟

أم لان البحر أمسى ساكنًا

لا يغير وجهه اكتظاظ السفن

ولا يبيح لأمطاري ممارسة الهطول

فكن أنت وحدك

تأرجحك المماحي

وتسد وجهك احتفالات العمى

لغيرك أو لغيري

سأسقطُ في لغتك

وأنتعلُ هواءك المعلق

برائحة الموت

افتراضات

كان يمكن أن أُرحِّبَ بالمساء

ليفركَ عينيَ الثالثة

كان يمكنُ أن أقدِّسَ الكأس

ليسرقَ شفتي

فأبلغ أرضي مرةً واحدة

كان يمكنُ أن أُرحِّبَ بالخبز

ليشربه النائمون

على أعوادِ الرصاص

فتسجد الحوافرُ للنهيق

كُلْ خبزي

فأنا أشربه مع باقةٍ من

الضباب !!

ولأنكَ في كُلِّ مساءٍ

تفتح أعشابي القديمة

وتبدأ بلبس أقنعةٍ سُود

ولأنك أغرقتَ فأسي

لن تلدَّ الأرضُ

فجاعتْ السنبلة

مَن أحرقَ العُشبَ بالماء ؟

وصار على الأسماكِ أن تغنِّي

للطوفان

يا بحر.. يا سكران

ما عاد القمرُ يفتح للمدِّ أبواب

السماء... !

كلْ خبزي

أكُن لكَ مائدةً حجرية

هذا مساءٌ من حديد

وتلك أضرحتي تحمل أناشيدها

لستُ معكَ على أية حال.. !

منذ ذلك الهواء

وأنا أقشِّرُ سبّابتي

وأجمع الفواتحَ للسواد

كم صار لك.. ؟!

تعلّقُ الأرقامَ فوق صدري

وترحلُ مع الأرغفة

كي تكنسَ البغي مباهجها الوثنيّة.

• • • •

كان يمكنُ أن أُرحِّبَ بالسماء

لأمسكَ جمرتي وأطلقها

قبلَ أن أُرحِّبَ بالسقوط

وهو أول ما رأيت

حيث سقط معي كل شيء

وكذلك أنا الواحدُ الأبدي

وحيثما أمتدَّ الهواء بين أفقين

أشار...

فاحتضنتُ الإشارة

لكنها سقطتْ كذلك

• • • •

ثمة ألواح في الطمي

وكذلك خدوش لفراغ الجسد

وهي تسجدُ للرحيق

أما آنَ لكَ أن تبارح

انتصابك.. ؟

لتعاودَ الأرض مجدَّدًا

تعاويذ المطر

وتسجدُ... !!

يا عشب

لنحتفلَ اليومَ بالطين

فكلما تحركتْ البوصلة

كنتُ أنا اتجاهها

• • • •

للريحِ مساؤها

فاستقبلت أصابعي

قال الحمار لموسى

ضعْ سبابتك في أنفي

وأنثرْ رؤياك على الشوك

• • • •

كان يمكن أن أُرحِّبَ بالأفاعي

غيرَ أنها تورطتْ...

قبل ذلك الهواء

كانت معي الفردوس

وكنتُ أنا افتراضها

أقبية النار

أُفكّر بالنار

كلما فتحَ الفجرُ نافورةَ العصافير

وأيقن أن الظلامَ

يشبه الدخان

منذ أن حملتُ السحاب

على كتفيَّ

رحلتْ خيوطُ الشمس

وصار الضوءُ

طائرةً ورقية

••••

الكلامُ أقبية

ونصلُ الجوعِ يشبه نفحةَ خبز

غير أن السماءَ لا تبيض

أوجاعَ الأرصفة

أفكّرُ بالسلام

كلما نِمْتُ فوقَ أسلاكِ شائكة

وأغلفةٍ بلورية

كلما أزَّ خلفَ وجهي طريق

أمنح الشارِع مدنا

والنار أشرعةً ذهبية

• • • •

لا يبقى من الأرض

غير شكلِ الدائرة

وأنا ارتفعُ فوقَ نهدٍ مضيء

ونجوم

فأشمُّ أنهار الفصول... كما لو أنها قد ذابتْ بين شفتيَّ

فأوقدتْ لهبًا من طينةِ لمسك وارتقاء أجنحةِ الحلم

يا غابةً في جوفِ وردة

وطنين قلق في شفق سوادك

وانهمار غيمةٍ في اليواقيت

مَنْ مِنَّا يعرفُ كم أيقن ذاته.......... ؟

أو أنه أسرف في مداعبتها

ودحرجة رغبة الماء بالنفور من لُجَّةِ عين

وفضفضةِ نومٍ لم يعد لغايته

ولم يسرف الوقتُ في تشكيل أوهامه البعيدة

فأغرقني.. فلا أنا من غياب

لأحدِّق بحُمرةِ نارِكِ

وأشلاءِ وجهكِ المرمري

لكننا نحمل مع كل ذلك مكانًا في كل لحظة

ورغبةً لنصبحَ لاشيء

• • • •

في البعيد..........

حيث يكون القرمزيُّ مثاليًا

وارتقاءُ نبضِ الهضاب جانحًا نحو الغموض

واشتباكُ الخطوط حالمًا بالمسافات

أقولُ للنار:

المسي فراشاتي المدلَّلة

بين كل ذلك العمق.. وفي قلب الهواء الرمادي

أراكِ نرجسةَ فناء

وقرقعةَ محوٍ أبدي

تلهث للحصول على بقعةِ ضوءٍ في سوادي

في البعيد....

أشرب النار فينوجد ساحلي المائي

كلما مسح الدخان ملامحي

واستعار اسمي

أصبح شجرةً تظللني

تتساقط منها أوراقُ العدم

ويتربع فوقها المكان.

فِي العلِّية... شبح

يفيق المكان عن نفسه

متعلقًا بأردانِ السماء

ويحطُّ فوق كلماتك......... وفي أتون الحصى

أتعالى كغيمة

وتنهمرين بركةَ ضوء

فلا أخضِّبُ هذا السواد بأسماءٍ مستعارة

ولا أقولُ لأشيائي

أن انتعلي صحراءَ القداسة

فاليوم كُلّي إليكِ.. أتابع سرَّكِ في قلبِ البراري

ولسعة أوهامي

وهي تقبعُ فيما وراء الأسى

تحلّقُ فوقَ أشباحِ المعابد

غير أني كلمة

الكلمةُ أفعى تسيلُ على الشوارعِ

تتسلق.. كلما فرح المطر واستلقى على شفة الطبيعة

• • • •

في بُقعةِ الخوف

أقلّمُ الهواءَ برشفةِ خمر

فيعلو

غثيانُ الندى فوقَ أطرافِ الصباح

أتساءلُ عن اصفرارِ بقرةِ موسى

وزبدِ أرجلها الكالحِ كعسجد من طين

أتساءلُ عن زُرقةِ الحدقات في شَفقِ الغيمة

في تكوراتِ الحمائم.. وخفقاتِ ملامح الوردة

وهي تبقّعُ البياض

تمسحُ خيوط الليلِ حوافَ إبطها المبلّل

فيسيلُ سواده حول البريق

أتساءلُ عن الأسماكِ وهي تشرب فضة الينابيع

كما لو أنها فوق أقراطِ وعل

وقلق محارب يفاجئه صفيرُ طلقة

فلا يدري هل يمرُّ جلده عبرَ فحيحِ ذاكرةِ امرأةٍ ما

ثم تمرُّ فلا يدري هل نزعتْ مسامات قلبه شغاف السنابل

ثم تذوي في نفق صدره وترحل....

نعم... إنني أتذكر جيدًا كيف حملتُ الآخرين إلى القبر

وفي طيّاتِ أذني حشراتٌ من ضجيج

أطرِّز الثقوبَ بالخوفِ من صوتِ أمي

فلا أجدها بين النائمين

غير أن الفراغَ بات أثقل من جسدي

وهو يرفرفُ من وراءِ الشمسِ دونَ ظل

• • • •

يدي تنفذ في عراءِ المرايا

ويشفُّ في قلبها عينان ساهمتان

وأدراجٌ تتهاوى على سفح الفراغ

فلا أقوى على لمس أشيائي

يدي كومةٌ من بصيص ذاكرة قديمة

وأشلاءٌ من شظايا

غير أن الضوء من غبش النوافذ

مسحني.

أخطــاء

وأنا أسيلُ مع الشوارع..

لا أدري أي شيء عما يحدث.. سوى أنني أنحني للشمس

أتابع صورتي معلقة على النخلة الآن

أن ترى صورتك في كل مكان.. في الأشياء التي تلمسها

ثم تغلق عينك عن رؤية ما تحت جلدك

انتظرني.. أنا لستُ الصورة التي رأيت..

لطخات الاسمنت تلبس ما ترى

أو أنك ترى كل شيء متصخرًا في حدقات الطيور.. ولمسات الحشائش

صوتُ المكان الخافت وهو يذوي يومًا بعد يوم

قنديل الماء..

فوران الينابيع عند منعطف الطريق إلى الحياة

وتراكم الظلال فوق بعضها

أسيل معك على خطافات الصيادين

وعلى المشهد المهزوم للمدينة التي كانت ترى صوري معلقة على الأبواب

وها أنذا.. أقول مرة أخرى ما قاله الكمان عن نفسه في حجاب الغسق

في عطر الطبيعة المُرّ / عارٍ ورقيق

لكنه لا يرى.. يلمس خطواته.. أو يشمّ

رائحة الحريق وصوت سيارات جامحة

صوت الماء الذي يجرف ما تبقى من ملاءات الحرب

صورتي المعلقة على الحيطان.. وربما جذوع الأشجار

اسمي.. وبعض ما تبقى من الإسمنت

• • • •

لا أحد اليوم يستعير عيني أو رأسي، وحتى يدي

لا أحد يقلق من تراكم سوادات المدينة

لا أحد يسأل عن الله.. فهو جاث عليها

يقلب بيوتها

يمنح الموتَ بطاقةً للتعريف به

لا أحد يرى السماء وهي تتبدل

لكنني أسمع ما يجيء من البعيد

ثمة عواء في زاوية المشهد... وفراغ

ثمة.. من فرح بانتهاء الحرب.. لكنه فشل في استعادة روحه

أو ما تبقى من براعم تبزغ من أطراف الأذرعِ المحكوكة بالنار

فشل في أن يرى ما تبقى منها.. على أطراف بُقع الزيت وأشلاء غيابه

في ساحاتِ الغُربة أو تجاعيد السواقي

لا يعرف غير القناديل

وهي تتمرغ بين صلبانها

ثم تقطف مسامير ساقه أحراش

توزع أوراقها غيمة.. غيمة.. فوق أقراط الحقول

يتحدث عن صباحاتها القديمة

لا يملك غير ذاكرة مليئة بأعقاب الرصاص وبقايا صور للخنادق والتراب

ولك أن ترى ما يتساقط منها.. كلما تكلم.

• • • •

أجراس لا تتوقف عن الهطول

حين أقتربُ من رذاذِ جفنيكِ

ويقترب من سليلِ ضوئكِ خفقُ أجراس

ثم ينزلق من حريرِ كتفيكِ وَدقُ الغيمة

أشيرُ إلى الظلال وهي تهمي فوق سفحكِ

كلما خفقتْ سلالُ الضوء

لا تلمسي بُقَع الرماد.. فهي آنية قديمة

ما زالت تحمل طوقك البري

في لهبِ السماء

• • • •

مع الأوراق الملصقة على الهواء

كان قطاف العنب قد ضرَّج المكان بسحنته

وأزال فوضى الهدوء من لسان الخمر الذي اندلق من حافة الهاوية

إلى سفح اخضرار أنفاسها وهي تشيح عن القمر

تحلّق مع انسياب ذاكرتي إليك

أي سفح سأمسك في تلابيبِ الخطيئة ؟

في انفتاحِ أطواقِ الجحيم

وتنقيط النجوم لثوبي

أنا لغز هذي الشمس

وهي تعكس كُلَّ آلامي

فوق آنيةِ الصليب

وكل رؤوسِ السهام التي وخزتْ جسد الصباح

لتبكي

• • • •

الفارقُ بيننا يمتد في الشوارِع

يكنسُ خربشاتِ جُدرانكِ

يلتقط حباتِ الفجيعةِ من أنهارِ البقاء

على حافةِ الأرصفة

الواجهات القديمة / بقايا السخام المدوي

في قلبِ الشراشف ولزوجةِ ما تبقى من قِطعِ السماء التي تناثرت فوق جسدِ المدينة

أتساءلُ عن نفسي

وأنا أشمُّ الحرائق أو بخار المدينة

بخار المدينة... يتساقط حبات من الخضرة

••••

ظلٌّ ذائبٌ في مهاد القداسة

راعفٌ في لمسِ أقداحٍ من بياض

وفي وهجٍ يبلّله عُريٌّ نهديكِ حتى يسيل على النخيل

ثم يشربه الفرات

فينسى عطشًا قديمًا ألمَّ به

أراكِ تبتعدين في ثلمة الظلمة

في غيبةِ كل ما ينتمي للحياة ويبرق في ثنايا دمنا العتيق

سوادٌ بنقاط بيض

يتجه عطرك نحوي

المسي الطين.. فهو جلدي

وارسمي نهريكِ فيه



المؤلف في سطور

- شاعر وفنان تشكيلي عراقي.
- من مواليد الحلة / بابل عام ١٩٧٠م
- حاصل على ماجستير فنون تشكيلية, كلية الفنون الجميلة - جامعة بابل ٢٠١٠م
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين
- عضو اتحاد الأدباء العرب
- عضو مؤسس لجمعية التشكيليين فرع بابل ٢٠٠٦
- عضو نقابة الفنانين العراقيين
- ناشط في المشهد الثقافي العراقي منذ التسعينات، وحتى الآن.

- الإصدارات:
  - كتاب الموتى : مجموعه شعرية, ١٩٩٨
  - حُب مطلق : مجموعه شعرية, ٢٠١١
  - كاظم نوير الغصن الذهبي في الفن التشكيلي العراقي: كتاب نقدي،
  - كائنات سرية : مجموعه شعرية, ٢٠١٤

الفهـرس



(+2) 01288890065/(+2) 02 27270004

www.shams-group.net